تراثنا

صُحَار
تاريخ وحضارة

الدكتور
جون ويلكنسون

العدد العشرون

الطبعة الثانية

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

عُمان
تاريخ وحضارة

الدكتور
جون ويلكنسون

العدد العشرون

الطبعة الثانية

صحـــــار

تاريـــــخ وحضــــارة

بقلم : جي . سي . ويلكنسون

في عام ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م سقطت الامامة الأولى في عمان كنتيجة للحرب الأهلية التي اندلعت في عمان . وعلى امتداد قرن ونصف القرن انتقل زمام تجارة عمان الدولية الى الاجانب أو أتباعهم ، وعلى كل فان التحول الكبير في تاريخ صحار قد حدث خلال الاحتلال الاجنبى للجزء الساحلى من عمان مما حدا بالمقدسي « ص ٩٢ » الى أن يصفها بأنها « بوابة الصين ومستودع الشرق » (فارس والعراق ، ، وبسند اليمن) .

ومن الحفريات التى أجراها علماء الآثار في المنطقة المحيطة بمدينة صحار الحالية والتى يعود تاريخها الى الفترة التي شهدت التوسع الكبير في مجال التطور والازدهار ، اكتشفوا بعض روائع ما أنتجته يد الانســان . وحتى هذه اللحظة وفي حدود معرفتى (لم أطلع أنا على نتائج أعمال بيتر فارس) لم يكتشف شيء ذو أهمية عن تلك المرحلة القديمة (أعمال ويلمسون ١٩٧٣ ، وأعمال جي ويلكنسون ١٩٧٥ ، وأعمال ويتكمب ١٩٧٥) . وعلى الرغم من ذلك ، كما سأحاول أن أثبته من المصادر العمانية المدونة ، كانت صحار المدينة

الأولى في عمان في مرحلة مبكرة من التاريخ (١) واذا لم يكن قد ظهر أى شيء من الآثار عن تلك الحقبة فمعنى ذلك أن اعمال التنقيب لم تكن تتم في الاماكن الصحيحة .

---

١ ـ استعان ويليمسون بالمراجع القديمة لتكوين تاريخ صحار ، وهذه المراجع تعود الى فترة تاريخية قريبة نسبيا ولا تتضمن معلومات يعتد بها عن الفترة التى تتناولها هذه الرسالة ، وعلى اية حال فان هذه المعلومات ينبغى مراجعتها او مضاهاتها بالمراجع المحلية للوصول الى فكرة صحيحة عن القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى اما عن الفترة التى سبقت هذه المرحلة فاننا لابد ان نعول على المراجع المحلية التى هى المصدر الوحيد بالمعلومات الصحيحة والمتوفرة عن التاريخ المبكر لعمان ، ولست هنا بصدد الدخول في شرح مفصل عن طبيعة هذه المؤلفات نظرا لأن الكاتب سبق له ان تناولها فى رسالتين سابقتين في مجلة الدراسات العربية بالمجلدين الثالث والرابع ، ويكفى ان اقول أن المصادر الرئيسية تكاد تكون في مجملها مؤلفات فقهية باستثناء كتاب انساب العرب لمؤلفه سلمه بن مسلم العوتبى الصحارى الذى صدر فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وقد تم جمع هذه المعلومات للتراجم في عدد من المؤلفات التى صدرت فيما بعد بينما يمكن القول ان ملخص تاريخ الامامة السياسى لن يبدأ جمعه فيما اعتقد قبل القرن السادس الهجرى العاشر الميلادى وقد توقفت هذه المحاولات بظهور ملوك النباهنة على المسرح ثم اعيدت في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى (كتاب كشف الغمة .. الخ) ويمكن القول ان اهم مصدر ثانوى بالنسبة للتاريخ السياسي لعمان هو تحفة الاعيان تأليف الشيخ عبد الله بن حميد السالمى الذى صدر في بداية القرن الحالى . اما فيما يختص بالتاريخ الاجتماعى السياسى لعمان فلا مفر من الاعتماد على كتب الفقه وعلى العوتبى بوجه خاص

عهد الساسانيين :

لعل أول تطور مبكر لمدينة صحار يرتبط بالمرحلة الساسانية الأخيرة عندما كان ميناء صحار :(الذى من المحتمل أن يكون قد سمى باسم شبيه باسم عمان) مركزا تجاريا متطورا في المنطقة التى يطلق عليها أرض الهند أى الامبراطورية البحرية الفارسية « والتى كانت تمتد من السند الى العراق وتضم السواحل الفارسية والعربية للخليج والطرق الواقعة على ساحل مكران من جهة والسواحل العمانية وسواحل الجنوب العربى من جهة أخرى . ومن الواضح بالتأكيد انه في نهاية القرن السادس حتى دخول عمان الى حظيرة الاسلام عندما تمكن العرب من تصفية النفوذ الفارسى في عمان ، كانت صحار هى المركز الفارسى الرئيسى على الساحل مع وجود جيش نظامى عامل يتمركز في الجزء الحصين من دستجرد(٢) بالاضافة الى وجود مركزين ساحليين هامين أيضا هما مركز دما على الطرف الجنوبى للباطنة ومركز جلفار التى كانت المركز الرئيسى في الجانب العربى من الخليج . وفي الداخل كانت السلطة تتركز في قلعة كسرى أنو شروان (؟) التى أقامها الفرس في الرستاق والتى ماتزال قائمة حتى هذا اليوم ، بينما احتفظت الرستاق باسمها المعرب . ومن هذه المدينة كان الوالى يدير شئون الحكم تعاونه مجموعة من رجال السلطة الذين كانوا

---

٢ ـ كانت لفظة دستجرد متداولة جدا وتشمل مساحة جغرافية واسعة في الامبراطورية الساسانية (معجم البلدان لياقوت الحموى) .

بدورهم يديرون المقاطعة الفارسية (مزون) بطريقة مباشرة . ومن ناحية أخرى كان الحكم في الاقليم العربى شبه المستقل الواقع شمال عمان ، وميناء دبا وعاصمتها توام واحة البريمى) في يد شيوخ ازد شنوه ، كما كانت هناك مقاطعة شبه مستقلة أخرى يحكمها الجلندى بن كركر من أزد بنى سلمى وربما كانت تضم المنطقة الجنوبية الشرقية من عمان ومدخل الخليج ، اننى على أيـة حـال لا أسعى الى تقديم أدلـة مفصلة لهذا العرض الوجيز عن الفترة التى سبقت الاسلام لأنى سبق أن تطرقت لنفس الموضوع في مكان آخر ، غير أن الأمر الجوهرى هو أن الشكل الأساسي لعملية الاستيطان في عمان قد تم وضعه قبل أن يتولى العرب حكم هذه البلاد واستمر محتفظا بطابعه الاباضي الجديد الى نهاية القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى أى الى ما بعد الاطاحة بحكم الجلندى .

صحار كعاصمة لعمان :

أولا أن صحار قد اتخذت عاصمة لعمان وفيها كان يقيم الولاة الذين يعينهم الخلفاء ، وعلى أية حال فقد كانت صحار تحتل موقعا شاذا بالنسبة للسيطرة على المجتمع القبلى العمانى الذى كان بدوره يتحكم في السياسات الداخلية للمنطقة . ولهذه الاعتبارات فقد اختار الجلنديون المناطق الجبلية كقاعدة للحكم على الرغم من احتفاظهم ببعض التحصينات في صحار (كتاب جامع بن جعفر) ومن ناحية أخرى ظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة للاقليات العمانية في

الخارج كالبصرة وخراسان بحيث أصبحت مركزا لنشاط الحركة الاباضية الناشئة في أعقاب سقوط حكم المهلبيــين ، ومنطلقا خرجت منه أول محاولة لم تعمر طويلا لاقامة الامامة تحت حكم الجلندى بن مسعود والتى قامت في بداية خلافة حكم العباسيين (جى . سى ويلكنسون) وعندما أطيح بحكم الجلنديين بعد مضى نصف قرن وأعيدت الامامة بصورة متوطدة تضافرت نفس الأسباب للجولنديين لتطوير عاصمتهم في داخلية البلاد واقامة مركز الحكم في نزوى . وعلى الرغم من أن صحار قد فقدت دورها كعاصمة لعمان ، الا أن سمات الحكومة الاباضية قد اضطرت أصحابها الى اقامة حكم قبلى غير مركز في المنطقة الداخلية ، وبالتالى فان نزوى لم تلعب أى دور من أدوار البيروقراطية أو العسكرية أو سمات الحكم التى تقترن عادة بعواصم الدول ، بينما احتفظت صحار بطابعها الدولى كعاصمة اقتصادية لعمان وكبلدة وحيدة ذات تنمية مدنية متطورة . (جى . سى . ويلكنسون ١٩٧٧ ــ ص ١٣٤)(١)

صحار كمركز اقليمى :

يمكننا بحث دور صحار كمركز ثقافى .واقتصادى من منطلق ارتباطها ببقية المناطق العمانية ومن علاقاتها بالخارج . وواضح أن هذين الجانبين متلازمان وعليه بالنسبة للفترة التى

١ ــ جى. سى. ويلكنسون ١٩٧٢ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ (وعلى الاخص الفصل السادس) .

تتناولها هذه الرسالة برز دور صحار بحكم سيادتها التجارية على المنطقة الداخلية من جهة ومن دورها كميناء دولى من جهة أخرى ، هذا على الرغم من وجود انفصال فيما بين دورها الخارجى ودورها الداخلى كما كان الحال على امتداد تاريخها وخلال الفترة التى خضعت فيها صحار للاحتلال الاجنبى في القرن العاشر ظلت صحار معزولة تماما عن الاجزاء الداخلية من البلاد بينما عادت ففقدت دورها كميناء دولى أثناء القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى وما بعدها .

من حيث الاساس تعتبر صحار منطقة زراعية ومراكز لصيد الاسماك وذلك باعتبارها امتدادا للشق الساحلى الممتد على ساحل الباطنة وهو المنطقة التى تتوفر فيها وسائل الرى ، وثمة ميزة أخرى لصحار وهى انها تستفيد من المياه الجوفية التى تصب من وادى الجزي عن طريق الآبار ومن مياه الافلاج على الجزء الأعلى بسبب قربها من السلاسل الجبلية ، ويعود تاريخ بناء الأفلاج هذه كما يقول (مايلز ١٨٧٨) نقلا عن الروايات الشعبية الى ماقبل الاسلام ، وقد يكون هذا افتراضا مقبولا نظرا لأن أكثرية القنوات التى تنقل مياه الرى قد أقيمت خلال الاحتلال الفارسى لعمان . وقد يكون غريبا بالتأكيد أن يفشل الحكام الساسانيون في تطوير مصادر الماء في منطقة العاصمة كما فعلوا في مناطق أخرى . وعلى أية حال فقد توصل ويلكنسون الى أدلة أركولجيه عن احدى العمليات الناجمة في تطوير الموارد الزراعية خلال الاحتلال الخارجى الأجنبى مما يجعل مساحات المناطق الزراعية في العصور المبكرة قضية مطروحة للمناقشة في الوقت الراهن ، واما أن

تكون المناطق المزروعة قد أهملت في أعقاب القرن الثانى عشر بحيث لم تجر اية محاولات لاعادة تطويرها حتى طلوع القرن السابع عشر (عهد اليعاربة) . ويؤكد هذا الرأى كل من تى . جى . ويلكنسون والمراجع المكتوبة التى اعتمد عليها كاتب هذه الرسالة (١٩٧٧) . ومن ناحية أخرى تشير هذه المراجع ولو بصورة غير مباشرة أن طابع المستوطنات الزراعية في هذه المنطقة قد بدأ يظهر في بداية الفترة الاسلامية والحديث هنا عن لوى الواقعة على بعد ٣٠ كيلومترا شمال غرب ومجيس الواقعة على بعد ٢٥ كيلو مترا جنوب شرق باعتبارهما نموذجا للمستوطنات التى نشأت في القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى . وفي نهاية القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى قامت القوات المحتلة بالاستيلاء على المستوطنة الأولى من أصحابها الشرعيين بالقوة ، وتشير المراجع في هذا الصدد الى قرية غضفان وهي البلدة التى قضى فيها الامام الربيع بن حبيب الفراهيدى نحبه سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م كما توجد هناك مستوطنة أخرى في صحار اسمها عوتب انشئت قبل عام ٢٧٨هـ/٨٩٢ ، كما تفخر صلان أيضا بانجاب عدد من علماء عمان الا أنهم ظهروا في مرحلة متأخرة على المرحلة التي تتناولها هذه الرسالة ، ولا يوجد أدنى شك على الاطلاق من واقع ماورد في كتب الفقه الامامة بأن الزراعة وصيد الاسماك كانت السبل الأساسية لحياة الانسان .

بالاضافة الى الاهمية الاقتصادية لصحار فقد كانت أيضا الميناء الاقليمى لتوام (التى تشكل واحتى الظاهرة والبريمى) والتى كانت ترتبط بوادى الجزى فضلا عن انها كانت المركز

الاداري لهذه المناطق . واعتماد هذه الاقاليم على صحار في بداية العهد الاسلامي يؤيده الخطاب الشهير الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم الى حدان وثمالة[1] (طبقات ابن سعد ص ٣٠ جزء ٢) كما تؤكده المعلومات الخاصة بتعيين العالم الاباضي واليا على صحار عام ١٧٧هـ/ ٧٩٤م وهو ذلك الذي حرض القبائل الشمالية على حكم الجلندى خلال الامامة الأولى ، زد على ذلك ما جاء في أحد التقارير عن المحاولات التي كان يقوم بها والي صحار ضد الجلنديين الذين كانوا قد اغتالوا مساعد والي توام خلال ولاية المهنا بن جيفر (٢٢٦ / ٢٢٧هـ ــ ٨٤١ / ٨٥١م) (من سيرة ابن الهواري عن الحضارم) ومن ناحية أخرى فقد اميط اللثام عن الارتباطات القبلية التي كانت موجودة بين صحار والمنطقة الداخلية وذلك من خلال متابعة تطورات الحرب الأهلية في نهاية عهد الامامة الأولى ، ومن متابعة تاريخ الانساب للعوتبي في كتابه « أنساب العرب » فقد تكشفت معلومات جديدة أخرى وعلى سبيل المثال ما قامت به جماعة القدرية والمرجئة من محاولات لانشاء مدارس لنشر دعوتهم في صحار خلال امامة عبد الملك بن حميد (٢٠٨ / ٢٢٦هـ ــ ٨٢٣ / ٨٤١م) . اما في توام فقد نجحت هذه الجماعة في كسب مؤيدين لها (التحفه ص ١٣٨)

---

١ ــ حدان هى المنطقة الجبلية الواقعة بين جبل اليحمد على الجنوب الشرقى وجبل كنده على الشمال في الطرف الاقليمى الذى يرتبط بطابع الاستيطان العربى الأصلى (مأخوذ عن جى. سى. ويلكنسون ١٩٧٧) .

ومما هو جدير بالاشارة في هذا السياق أن صحار كمركز تجارى دولى وتربطه بمدينة البصرة روابط وثيقة كانت موطنا لعدد من الفلسفات والحركات الدينية التى أغضبت جماعات العلماء في المنطقة الداخلية من عمان أثناء الامامة الأولى .

وقد دخل عنصر جديد الى اقتصاديات صحار مصدره المنطقة الداخلية وكان هذا العنصر هو النحاس الذى كان يتم استخراجه في ذلك الوقت من منطقة وادى الجزى . ان قدم تاريخ هذا المعدن (وعلاقته باكتشاف موقع مدينة مجان القديمة) لا يحتاج الى تفصيل في هذا المضمار ، خاصة وأن تطور الوسائل التى كان يستخدمها العمانيون لاستخراج هذا المعدن تجرى الآن دراستها من جانب الدكتور جيرير من متحف برجبا وفي بوخم (وكان تقريره الأول قد قدم في ندوة عقدت في رأس الحمراء بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٧٧) ويحتمل أن يكون هذا المنجم قد استمر في العمل حتى بداية القرن السادس الهجرى الثاني عشر الميلادى على الاقل . وهذا أمر لا تؤكده آراء المسعودى في كتابه (مروج الذهب ص ٢٤٢ فحسب بل وكتب الفقه العمانية وجامع بن جعفر أيضا وذلك ابتداء من القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى حتى بداية القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى) وتضم هذه المعلومات العديد من الآراء بخصوص عمليات التعدين ، كما أن هناك اشارة واضحة الى مناجم وادى الجزى في كتاب المصنف لاحمد بن عبد الله الكندى وهى تفيد بأن أصحاب تلك المناجم في عمان كانوا

يؤجرونها نظير نسبة مئوية معينة ربما تكون نحو ١٠٪ من صافي الأرباح (١)

صحار : العلاقات الخارجية :

اذا انتقلنا من موضوع الاقتصاديات الداخلية لمدينة صحار الى موضوع ازدهارها كميناء تجارى دولى ندخل في تعقيدات كثيرة تمس التجارة الموسمية وكيفية تطورها ، والى تطور التجارة العامة بين الاقطار الشرقية وبلدان الخليج ومدى مساهمة العرب والى حدما الفرس في تلك التجارة والى بداية الرحلات البحرية المباشرة بين الخليج والصين . وقد كتبت المجلدات عن هذه الأمور ، غير أن الادلة الاثرية لتلك النشاطات (والتى لم تظهر بالطبع في عمان) قد وردت في المعلومات والتفسيرات التى وضعها كل من وليمسون ووايت هاوس اللذين أوضحا بطريقة مقنعة وبما يتفق مع المراجع التى عادا اليها دور الساسانيين في تنمية العلاقات التجارية مع

١ ـ كما يشير المؤلف أيضا بأن المنجم الذى يتبع أهل أزكى كان يعمل أيام حياة المؤلف ، ربما كان هذا المنجم جزءا من مجمع القديم جدا والذى تقع بالقرب من وادى عندام . وفي العصور المظلمة التى شهدت انهيار الجزء الاكبر من الرفاهية الاقتصادية التى كانت تعيشها عمان وربما أدى ذلك الى اغلاق المناجم نهائيا بالرغم من المحاولة التى بذلت لاعادة فتحها أثناء ولاية أبو نبهان جاعد بن خميس الخروص (١٨٢٢/٥/١٧٣٤ عن الصحيفة القحطانية المجلد الثالث) وهذا يتطابق مع أراء نبيهور في التقارير التى استشهد بها ويلمسند ١٩٧٣ .

الشرق كما جاءت تفسيراتهما متطابقة في رأيي مع معلومات آخرى جرى العرف حتى الآن على تجاهلها وذلك فيما يختص بطبيعة تجارة الخليج والاطراف التى كانت مشتركة فيها .

وقد لا أتطرق هنا الى هذه المشكلة وانما اكتفى بالاشارة الى التنظيم الأصلى الذى كانت تقوم عليه امبراطورية الساسانيين الملاحية والذى دعا الى ظهور اصطلاح (أرض الهند) في المراجع العربية القديمة ، وقد كان هذا التنظيم ذا طابع قومى بحت كما أدى الى ازالة الحواجز بين سكان السواحل الواقعة فيما بين عدن والبصره ومنطقة نهر الاندس . ومن خلال ذلك التنظيم ادخل العرب والفرس والهنود في اطار شبكة تجارية واحدة انعدمت فيها الفوارق العنصرية والقبلية والدينية ، وبهذه الطريقة تشجع المواطنون المحليون سواء كانوا عربا أو فرسا أو غيرهم الى ممارسة النشاطات الملاحية التجارية .

ومن المؤكد أن وصول الاسلام الى هذه المناطق قد غير من تركيب النظام القديم وساهم في نقل التنظيم الاقليمى والاقتصادى المعمول به نحو افاق جديدة ، ورغم ذلك فقد حافظ ذلك التركيب التجارى على طابعه الخاص . وقد توفر فيض من الادلة وذلك من المعلومات المفصلة التى دخلت في حوزتنا عن النظام المبكر للحركة الاباضية في البصره وكيف نجحت تلك الحركة في الافادة من التذمر الذى كان ينخر في جسم تلك

التسبكة التجارية وذلك من خلال الطريقة التى استغلت فيها الحكومة المركزية ذلك التذمر بدءا من العهد العثماني فصاعدا (جى. سى. ويلكنسون) . ان تراجم أولئك المؤرخين العمانيين الأوائل لم تهدف طبعا الى شرح أساليب ذلك التنظيم التجارى غير انها تحوى بعض الادلة عن الطريقة التى كانت تلك الشبكة التجارية تمارس نشاطها وعن تكييفها مع الظروف المتغيرة .

اما في الخليج فقد كانت هناك ثلاث مراكز تجارية قبل الاسلام تطورت فيما بعد الى موانىء رئيسية لتلك الامبراطورية الرئيسية وهذه المراكز هى (١) مركز الابله ــ البصره (٢) مركز سيراف و (٣) مركز صحار ، وعلى اية حال فقد كان لصحار دور خاص في ذلك النشاط التجارى وذلك بحكم موقعها خارج المنطقة الرئيسية من الخليج ، فقد كانت تقع على اطراف المحيط الهندى وكانت الحركة الملاحية في هذا المحيط تخضع للرياح الموسمية ، ومن هنا فقد كان ارتباط صحار مع بلدان المحيط الهندى أقوى بكثير من ارتباطها بسواحل الخليج ، فلقد كان تجار هذه الموانىء يتحركون ضمن حدودهم فقط وكانت لهم مساكن في كثير من تلك السواحل وهكذا فعلى حين كانت التجارة الفعلية في تلك المراكز تعتمد على النظام الاقتصادى للمناطق الداخلية لتلك المراكز وعلى الامكانيات العملية للحركة الملاحية وسير السفن ، لم يكن تمويل العمليات التجارية وملكية السفن العاملة وحمولاتها مرتبطا بالظروف الاقليمية .

نعود الآن وبشكل خاص الى ميناء صحار والى المعلومات المدونة عن تطور هذا الميناء التجارى ، وبصورة عامة توضح هذه المعلومات التطورات الكبيرة التى طرأت على صحار خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى بما يتفق مع التطور العام للازدهار الذى تحقق في ظل حكم الخلافة المركزية في العراق .

ومن الواضح على مايبدو ، أن سيراف كانت تحتل أهمية أكبر . أما في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى فمن المحتمل أن يكون ذلك الازدهار قد تحقق بحكم ظروف عامة معينة أثرت بدورها في التجارة الملاحية وعلى الخصوص في التدهور الذىأصاب التجارة مع الصين كنتيجة لسقوط حكم أسرة تانج وتدمير مدينة كانتون في عام ٢٦٤هـ/٨٧٨م وكنتيجة أيضا لثورة الزنج في جنوب العراق في ٢٥٧هـ/ ٨٧٠/ ٨٧١م وأخيرا بسبب انهيار النظم القائمة في الخليج باسرها . على أنه لا ينبغى لنا التهويل باحداث

الصين[1] . فقد كانت التجارة مع الصين لا تشكل الا جزءا ضئيلا من مجمل تجارة المحيط الهندى طبقا للمعلومات التى تعود الى عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م وهى معلومات مجهولة المصدر . وعلى أية حال فقد عاد ذلك النشاط الى عهده السابق عن طريق ميناء (كلاه) الذى ربما يقع على ساحل تناسيريم في شبه جزيرة الملايو (راجع ويتلي ١٩٦١ ص ٢١٦ ــ ٢٢٤) وعلى أية حال فقد كان الجزء الاهم من تجارة الصين خلال الفترة التى يتناولها هذا البحث يمر عن طريق سـيراف .

غير أنه من الصعب علينا تقييم المعلومات الأخيرة اذ أنه على الرغم من أن عملية السلب والنهب التى تعرضت لها

---

١ ــ بالنسبة للتجارة مع الصين فمن الجدير بالذكر انه بالنسبة لاصطلاح السفن الصينية في معاهدة ٢٣٧/ ٨٥١ فما من أن تعتبر سفن الصين التجارية أو السفن الصينية وبالتالى فينبغى أن يؤخذ هذا الاصطلاح على انه يعنى التجار العاملين في تجارة الصين . وعلى سبيل المثال فان اعادة فحص نصوص معاهدة الدرجني والشماخي (الذين استمدوا معلوماتهم من كتاب أبو سفيان محبوب بن الرحيل الذى كتب في بداية القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى وقد استعان بلويكى ١٩٣٥ في مقاله الذى بين فيه انه في الوقت الذى ذكر فيه أن ابو عبيدة الصغير قد توجه بالفعل الى الصين في رحلة تجارية ربما في منتصف القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، والنذر بن ميمون كان أحد المساهمين يقوم بتمويل مع الصين ماخوذ عن الدرجني ص ٢٧٣ والشماخي ص ١٠٣ وكان هؤلاء التجار قد نشطوا في أواسط النصف الثاني من القرن كما يمكن اعتبار ذلك كدليل على نمو التجارة مع الصين من حيث انها تشمل العديد من التجار ونظام مالى خاص .

البصرة كانت نكسة مؤقتة الا أن ثورة الزنج قد أشاعت الفوضى والاضطراب في جنوب العراق لفترة من الوقت وبالنسبة لصحار وسيراف فقد تسببت تلك الاحداث في تدفق اللاجئين عليها[١] غير أن الأوضاع في الخليج نفسه كانت تشكل مسألة خطيرة ويذكر ابن قرطبة الذى كتب (ص ٦٠) في الفترة نفسها الى انعدام الامن في البحرين كما أن هناك بعض المعلومات وان لم تكن واضحة عن التدهور الذى طرأ على التجارة البرية في ذلك الوقت في كل من قطر[٢] وجبرين على ساحل عمان . وأما على الساحل الفارسى فقد كانت تنشأ بعض الأسرة الصغيرة وتمارس السيطرة على الاجزاء التابعة لها على الساحل ، وكان أبرزها أسرة الصفاري .

وتشير المراجع العمانية وبعض المراجع المستقلة غير العمانية كالاصطخرى بوضوح بأن كل تلك الأسر الحاكمة كانت

---

١ ــ في كلا الحالتين توفرت الادلة عن بعض الافراد القادمين من البصره ، وقد كان نتيجة لذلك أن انتقل العلامة العمانى اللغوى ابن دريد الى موطنه مره أخرى حيث عاش سنوات عديدة

٢ ــ لقد قام فريق من الجامعة الاميركية في بيروت بأعمال الحفر في منطقة الجميره قريبه من دبى والتى يمكن ان يربطها بمنطقة السنمة التى تحدث عنها الجغرافيون العرب القدماء (ويلكنسون ١٩٦٤) ويبدو أن هذه المنطقة قد اندثرت واما بالنسبة لقطر والتى يمكن تشبيهها احدى المستوطنات الواقعة على الطرف الشمالى الغربى لشبه جزيرة قطر الحالية (ويستنفلد ١٨٨٤ ــ ٨٣) وربما صرف النظر عن هذه المنطقة في هذا القرن . وهذه التعبيرات ربما حدثت بسبب انهيار سلطة اتحاد عبد القيس .

من أصل عماني كما اشار الى هذه الحقيقة شابان في (التاريخ الاسلامى فصل ٢ ص ٩٨) .

والواقع أنه كان لكل طرف مصالحه الخاصة كما كان كل طرف يسعى الى الاستفادة من الاوضاع الناشئة عن قيام حكم الصفاريون وصراعهم مع حنضلة بن تميم الذى ينتمى الى الاسرة الواسعة الثراء التى كانت تستوطن اصطخر وكانت يربطها حلف قوى مع الاسرة الحاكمة في سيراف . أما بنى عمارة الذين كانوا مثلهم مثل الصفاريون ينتمون الى أسرة الجلندى بن كركر من قبيلة بنى سلمى والذين نزح أفرادها من عمان وأقاموا في ساحل كرمان خلال الفترة التى سبقت الاسلام (مع احتفاظهم بالطبع بروابطهم الاسرية مع بنى سلمى الذين بقوا في عمان ــ العوتبى) فقد أخذوا في تدعيم سيطرتهم على مداخل الخليج (وكان مقرهم الرئيسى مدينة هزو الواقعة أمام مدينة قيس) بينما كانت لهم استحكامات وقواعد حصينة في منطقة ركدان وكانت تلك التحصينات على جانب كبير من المناعة والقوة كما يذكر الاصطخري ص ١١٦ ــ ١١٧/ ١٤٠/١٤١ وأيده في ذلك ياقوت في كتابه « معجم البلدان » ، كما كانت تلك الاسرة تقوم بتحصيل الرسوم على السفن التى تعبر مياه الخليج . هذا العامل الى جانب الهجمات التى كان يشنها حنضلة ارغمت الصفاريين الذين كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على ساحل بن صفر على تشكيل حلف مضاد مع مجموعة جلندية أخرى كانت تسيطر بدورها على

منطقة رمله الخيران في فارس . كل تلك الأوضاع كانت على مايبدو سببا في تعقيد الامور وعدم التشجيع على تدفق التجارة ولكن ماهو جدير بالملاحظة اذا نظرنا الى المشكلة بشيء من التدقيق نجد بأن المحصلة النهائية لتلك الأوضاع كانت في مصلحة صحار . والواقع ان العمانيين كانت لهم علاقات طيبة مع بنى عماره (الذين ظلوا محتفظين بنفوذهم حتى بعد سقوط حكم الصفاريين) كما أن ميناء هذه الاسرة كان يقع خارج حدود منطقة نفوذ الجلنديين . وعلى النقيض من ذلك كانت سيراف معزولة عن المحيط الهندى بحكم السيطرة الجلندية . ولكنى لا أعنى بهذا القول بأنه كانت هناك حرب تجارية مدبرة بين الميناثين أو أن العمانيين أو بالاحرى الجلندى بن كركر كانوا يعملون على اقامة حلف مضاد ضد بنى عماره بهدف تحويل مسار تلك التجارة وانما على العكس من ذلك فقد كانت سيطرة بنى عماره على مدخل الخليج هى التى تؤثر تأثيرا ضارا على كل من سكان صحار والصفاريين وعلى أية حال فان القرارات التى اتخذت كنتيجة لتلك المصالح قد ساهمت في توجيه النشاط التجارى لصالح صحار وقضت على ماكانت تتمتع به سيراف من ميزات . وهكذا فابتداء من منتصف القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى تحول ميزان المركز التجارى لتوزيع السلع نهائيا لمصلحة صحار بحيث غدت في آخر الأمر أهم مركز للتجارة فيما بين الاقطار الاسلامية والمناطق التى تخضع فيها الملاحة للرياح الموسمية سواء كان ذلك في اطار منطقة الخليج أو خارجها .

ان النفوذ الناتج عن تراكم الثروة داخل النظام السياسي القبلى في عمان غير مطروح للبحث في هذا المجال ، الا أنه لابد من الاعتراف بأن ذلك العامل كان من بين الأسباب التى شاطرت في تفجير الحرب الأهلية في أواخر سنة ٢٧٠هـ وأن النداء الذى وجهه الشماليون الى الحلفاء بعد الهزيمة التى منوا بها في صحار عام ٢٧٨هـ / لمد يد المساعدة اليهم كانت أشبه بنفحة من السماء للعباسيين كى يتحركوا بسرعة للسيطرة على السواحل العمانية ولزحزحة العمانيين من أهم موقع اقتصادى في بلادهم .

كانت هذه الصورة العامة للاحداث وننتقل الآن الى بحث العوامل المحلية التى كانت توجه وتسيطر على نمو صحار ولنتعرف على رأى العمانيين أنفسهم في هذا الموضوع .

الأسطول العماني :

لقد لعبت القوى المحلية دورا ملحوظا في تطوير ميناء صحار كما سبق أن نوهنا ، في الوقت الذى كان للبحرية العمانية والظروف الاجتماعية والاقتصادية في عمان تأثيرها على التجارة .

وعلى عكس الادلة التى توفرت لدينا عن أسطول عمان التجارى فانه لاتوجد معلومات يعتد بها بشأن القوة البحرية العمانية خلال الفترة الأولى من الاسلام أما الى أى مدى

انتقلت السفن التابعة لأسطول الساسانيين الى أيدى العمانيين فمسألة لا يمكن التكهن بها ، الا أنه من الواضح أنه كانت هناك مساندة بحرية من جانب العمانيين في حملات القائد العربى عثمان بن أبى العاص الثقفى ضد السواحل الفارسية وذلك بقوات بحرية تم تشكيلها من البحرين وعمان .
ومن ناحية أخرى فان الحملات الأولى التى قام بها الحلفاء لوضع حد لأعمال القرصنة التى كان يقوم بها حاكم السند على أسطول المسلمين التجارى لم تنجح في البحر ، بينما نجحت العمليات التى اتخذت على البر في سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م . على أن أول دليل واضح عن نجاح العمانيين في انشاء قوة بحرية فعالة قد تم خلال المحاولة القصيرة لاقامة الامامة في بداية عهد العباسيين وتمثلت تلك المحاولة في ارسال حملة الى سقطره وقام بها الجلندى بن مسعود وتمكنت تلك الحملة من فرض الصلح على المسيحيين في تلك الجزيرة (جامع بن جعفر) .
غير أن أسباب ارسال تلك الحملة لم تعرف وربما تعود الى قيام أهالى الجزيرة بهجمات على السفن العمانية والحضرمية العاملة على الساحل الشرقى لافريقيا ويبدو أن اتفاقية السلام قد استمرت اذ أنه خلال امامة الصلت بن مالك الخروصى ثار سكان سقطره وقتلوا الوالى العماني فيها ، الأمر الذى تطلب ارسال حملة أخرى قوامها ١٠٠ سفينة لقمع التمرد (التحفة ص ١٦٨) .

خلال المرحلة الأولى من هذه الأمامة لم يكن الاسطول العمانى على درجة كبيرة من الفاعلية وكان يعتمد على عمليات

تجميع سفن من القطاع الخاص ، غير أن تطورا هاما قد طرأ على ذلك الاسطول بعد أن استتبت دعائم الأمامة ، ففي شتاء ٢٠١هـ/ ٨١٧م ركز الامام غسان بن عبد الله كل اهتمامه على صحار (١٩٢ ـ ٢٠٧/٨٠٨/ ٨٢٣) وقد أمضى خمس سنوات في اعادة تنظيم شئون المنطقة وكان من أولى مهامه اعداد اسطول كبير للقضاء على أساطيل القراصنة الهنود الذين كانوا قد أقاموا قواعد لهم حول المنطقة الواقعة على مدخل الخليج وكانوا يشنون هجمات منها على السفن العابرة (التحفة ص ١٢٣ فصل / ١) المرجع كلين ص ٤٦ في معرض تعليقه على « كشف الغمة » ص ٢١ وقد قام الامام مهنا بن جيفر بمحاولة لتعزيز هذا الاسطول (٢٢٦ ـ ٢٣٧ / ٨٤١ ـ ٨٥١) واستطاع تجهيز ٣٠٠ سفينة حربية (التحفة فصل ١ ص ١٥٠) .

الأحوال الاجتماعية ـ الاقتصادية :

المعلومات عن النشاط التجارى للعمانيين معلومات متفرقة ويوجد أغلبها في مؤلفات الفقه العمانية بصورة خاصة وهى كلها تؤكد ما هو معروف بالفعل وبالتالى فلا حاجة بنا الى الدخول في تفاصيل ذلك أو شرحه . وهناك مجموعة كبيرة من المعلومات عن النشاط التجارى العماني مع سيراف والعراق والسند طوال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وتفيد بعض هذه المعلومات تواجد اقليات عمانية تعيش في عدن وفي الشحر على الساحل الجنوبي الغربى وفي ديبول على مصب

نهر الاندس خلال منتصف القرن . وكانت تجارة عمان مع الدول الواقعة خارج محيط الأقطار الاسلامية تتم على أساس « اتفاقيات أمان » تعقد بين الاطراف المتعاملة وتجدد سنويا تلقائيا من الوجهة النظرية ، كما كانت هناك اتفاقيات منتظمة بالفعل مع كل من أفريقيا والهند . ومن ناحية أخرى يذكر ابن جعفر بأن الصين كانت في ذلك الوقت تعتبر منطقة حرب مؤكدا بذلك أن المسلمين لم يعودوا يتوجهون اليها أو يتعاملون معها .

وبين حين وآخر تلقى هذه المؤلفات الفقهية بعض الضوء على المشكلات التجارية لعمان . وعلى سبيل المثال ماكان ينشأ من مشكلات خلال منتصف ذلك القرن ويحدث ذلك عندما يقوم أحد التجار بحجز مكان له في احدى السفن الراسية في ميناء البصرة والمتوجهة الى سيلان ، ثم بعد ذلك يغير رأيه عند وصول السفينة الى ميناء صحار . وبما أنه من المتفق عليه أنه ليس في وسع أحد أن يرغمه على مواصلة رحلته خصوصا اذا قام بتسديد ماعليه من تعويضات عن الغاء رحلته . الا أن هذا التصرف كان يؤدى الى نشوء مشكلة أخرى وهى كيفية التصرف بحمولة السلع التى تخصه والتى تكون عادة مخزونة داخل السفينة ، اذ أن عملية تفريغها يسبب عطلا وتأخيرا ويكلف نفقات كبيرة غير أن حل هذه المشكلة كان يتم عادة بتعيين أحد طاقم السفينة كقيم على السلع للاشراف على كيفية التصرف فيها على أن يتحمل ربان المركب مسئولية نقلها كما لو كان صاحبها التاجر موجودا بنفسه على ظهر السفينة (من كتاب المصنف ـ لاحمد بن عبد الله الكندي) وكما كانت هناك أقليات

عمانية تعيش خارج موطنها ، كانت صحار هى الاخرى موطنا للعديد من الجنسيات الوافدة . ومن بين الاقليات التى كانت تعيش في صحار في بداية الامامة جالية كبيرة من اليهود وأخرى من الهنود الوافدين من السند وكونت الأخيرة هى بقايا الحملة التى اشتركت ضد الجلندى في توام كما أسلفنا غير انها اخذت تتصرف بطريقة تتعارض مع التقاليد العمانية . وعلى اية حال فقد كان الوضع في صحار يشكل عبئا على جماعة العلماء العمانيين في داخلية البلاد نظرا لأن صحار كانت تعج بالاجانب . ولم يكتب لمحاولة الوالى ابن مروان فرض حكمه على أهل البلاد خلال إمامه المهنا فقد عزل عندما تولى الصلت مقاليد السلطة ، زد على ذلك أن تلك الخلافات بين الاهالى والوالى كانت تقع كثيرا أثناء المرحلة الأخيرة من حكم الصلت .

الحكم الشرعى :

وعلى حين لا تجود المصادر المحلية الا بالنزر اليسير من المعلومات عن النشاط التجارى فانها تقدم لنا فيضا من المعلومات عن التشريعات التجارية المعمول بها في صحار ولهذا الموضوع جانبان قوانين الاجراءات التجارية وقوانين الضرائب المفروضة على المعاملات (١)

١ ــ هذه الاسرة تنحدر من عروة شقيق التوحيدى العظيم أبو بلال مرداس وقد كانت انتفاضتهم ضد النظام الاستبدادى والذى على راسه عبيد الله بن زياد قد أدى في النهاية الى اعظم عملية استشهاد في التاريخ وذلك في عام ٦١ بعد الهجرة .

أما الجانب الأول فهو متسع جدا ويهيىء مجالا واسعا للبحث في التشريعات المتعلقة بمثل هذه المسائل كالقروض والسلف وحق الشفعة والخيره وعقود عمليات النقل وما شابهها من شئون وهى كلها تستمد سماتها من قوانين الفقه الاباضية .

ولقد عكفت شخصيا على دراسة هذا الموضوع على ضوء قانون الأراضى وبالتالى فما توصلت اليه من القانون التجارى المعمول به حينذاك يؤكد الفكرة التى كونتها عن الموضوع الأول وهى أن الاباضية لا تركز على الجمود التشريعى بقدر ما تسعى الى التقريب بين الطبيقات القائمة في اطار مبادىء الاسلام الاساسية وتحقيق أكبر قدر من العدالة في المعاملات . فان لم يتوفر هذان الشرطان فان القوانين العرفية تعتبر بديلا مقبولا وبالتالي يمكن اتخاذ القرارات باخضاعها لآراء المختصين في هذه الأمور .

وعلى أية حال فان قانون الضرائب لم يكن مسألة ضمنية بل كان موضوعا أساسيا داخل علم الفقه الاباضى الذى يصر على التمسك الكامل بالمبادىء الأساسية للضريبة الاسلامية ويعارض ما يسمى بالمكوس المعمول به في الاقطار الاخرى (فوراند ١٩٦٦) وكما يشير ابن خلدون في الفصل الرابع ص ٩٠ ــ ٤٨٩ أن هذه التشريعات كانت لصالح التجار الى حد كبير ويؤيد ذلك الثروات الضخمة التى جمعها رجال الاعمال في صحار خلال عهد البوهيين بالرغم من وجود نظام ضرائبى

غير ملائم . اما الاساس الذى كان يتم بمقتضاه سن التشريعات الضرائبية بالنسبة للاجانب في عهد الامام غسان بن عبد الله في صحار فيما بين عام ٢٠١ و ٢٠٦ فهو بأغلبية الرأى بين جماعة العلماء المختصين في هذا المجال غير أن هذه التشريعات لم يكتمل صدورها في عهد الامام الصلت الذى عين أكبر علماء الفقه العمانيين وهو أبو عبد الله محمد (نجل آخر الائمة من أصل بصراوى وهو الامام محبوب بن الرحيل) وكان قاضيا في صحار سنة ٢٤٩هـ . وقد شغل هذا المنصب حتى وفاته ٢٦٠هـ/٨٧٣م ويمكن العثور على مجموعته الواسعة للتشريعات الضريبية (وغيرها من الشئون ذات الصلة بها) في مؤلف جامع بن جعفر الذى يعود تاريخه الى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وفي مؤلف أبو الحسن البسياني الذى يعود تاريخه الى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وفي مجموعة منشورات المشايخ وربما (أضيفت الى تلك المؤلفات بعض التفسيرات من مؤلفيها ، غير أن واضع أسسها هو أبو عبد الله محمد) .

قانون الضرائب :

المبادىء الأساسية لتحصيل الضرائب :

يدفع التجار المسلمون $2\frac{1}{2}$ ٪ كضريبة على مواردهم النقدية وعلى التقييم النقدى لما في حوزتهم من ممتلكات بشرط

أن تكون تلك الأموال في حوزتهم لسنة كاملة[١] ويخصم من الضريبة الديون والسلف ، كما أن بعض السلع لا تعتبر سلعا الا بعد دخولها في حيز البيع والشراء وهى تقتصر أساسا على المنتجات الطبيعية للبحر كاللالىء والعنبر والاشجار البريه كاللبان والاصباغ . أما الحلى فهى موضع جدل ، غير أن القانون بالنسبة لهذه السلعة هو انه اذا كانت نقودا ويحتفظ بها بطريقة متميزة فانها تخضع للضريبة . اما في الاتفاقات التى تمس الشركاء التجاريين فان الضريبة لا تستوفى الا اذا كان قد مضى على حوزة السلع لدى الشركاء عام كامل . ويفصل القانون الضريبى بين الممتلكات الشخصية ورأس المال الذى يأتى به صاحبه من الخارج لاستثماره في عمان ، ولا يميز القانون في الاستحقاق بين السلع الوارده برا أو تلك الوارده عن طريق البحر اذ تعتبر كما لو دخلت البلاد عن طريق البر فلا تستحق الضريبة عليها الا بعد حيازة أصحابها لها لسنة كاملة ، ويدفع العرب المسيحيون ضعف ما يدفعه المسلمون . الذميون يدفعون الجزيه (التفاصيل سقطت) .

اذا حضر أحد الذميين الى عمان وأقام فترة تقل عن ثلاثة أشهر فلا يخضع للضريبة ، اما اذا زادت اقامته على تلك الفترة فتستوفى منه بأثر رجعي ابتداء من يوم وصوله ، أما اذا توجه

---

١ ـ كانت سنة الضريبة تبدأ من شهر رمضان وسبب هذا التحديد هو ان الامامه نشأت فيه على أثر خلع الجلندى في شهر رمضان ١٧٧ بعد الهجرة بيان الشرع ص ٦٨ .

الذمى الى الخارج الى بلـد اسلامى آخر فعليه دفع المستحقات عليه هناك . أما اذا توجه الى بلد غير مسلم فالضريبة تستحق على ممتلكاته اذا ترك أسره أو ممتلكات في عمان ، والا فيعفى من دفعها عن المده التى يتغيب فيها عن البلاد .

أما اليهود والسلع التى من أصل يهودى فلها نظام خاص (لم ترد تفاصيلها) .

التجار المنتمون الى الاقطار غير الاسلامية (أى من بلاد دار الحرب) تتم العمليات التجارية أساسا كنتيجة لاتفاقات متبادلة يتم التوقيع عليها تحت بند قانون الامان المشار اليه أنفا . والبنود الاساسية لهذا القانون كالآتي :

١) وجهة النظر الأساسية هو أن التجار غير المسلمين يدفعون نفس الضريبة التى يفرضها حكامهم على التجار المسلمين المقيمين في أراضيهم ، وصحار على ما يبدو المكان الوحيد الذى يسمح لهؤلاء التجار بممارسة التجارة .

٢) البضائع غير الاسلامية الموجهة للتجار المسلمين في عمان يتم دفع الضريبة عنها بمجرد أن يتم بيع السلع أو تتحول الى اشكالات أخرى (أى تصنع مثلا) أما اذا لم يتم بيع تلك السلع فان الضريبة عليها تستحق بعد مرور عام عليها .

٣) البضائع المرورية (الترانزيت) والموجهة الى البلدان الاسلامية الأخرى (بالاخص فارس والعراق أى سيراف والابله في البصره) تخضع للضريبة على أن تكون فترة الترانزيت أقل من سنه .

٤) البضائع المرورية بين بلدين غير اسلاميين (على الارجح الهند والزنج) والتى يجرى نقلها عن طريق صحار للضريبة ولا تخضع لفترة سماح .

٥) **التجار العمانيون العاملون في الخارج :** التجار العمانيون المسلمون يمكنهم أن يقيموا خارج عمان ، غير أنه غير مسموح لهم الاقامة الدائمة في بلاد غير المسلمين . وعند عودة التاجر العماني الى بلده تجبى منه ضريبة الزكاة عن كل المدة التي قضاها في الخارج .

وهناك بعض الخلاف حول ما اذا كانت الضريبة المستحقة منه تقدر على أساس مدةتقل عن السنة(أى ما اذا كان قد أقام في الخارج مدة خمس سنوات وسبعة أشهر) غير أن القانون حول هذه المسألة قد أعيد النظر فيه وأصبحت الزكاة تستحق عن كل سنة كاملة . وعلى نفس المنوال فلو أنه كان يقوم برحلة واحدة الى الخارج خلال السنة الواحدة فلا تستحق الضريبة عليه قبل مضى السنه بأكملها .

ويجوز للعماني أن يدفع ضريبة الزكاة للفقراء في بلد كالشحر فاذا أثبت انه قد دفع تلك الزكاة في الشحر أو اليمن فأنه يعفى من دفعها في عمان . ولا يدفع العماني أية ضريبة عن سلع في حوزته للتجار المسلمين المقيمين في الخارج (وبالاخص العراق واليمن) .

التجار العمانيون غير المسلمين :

ان القوانين المطبقة على العمانيين تسرى على غير العمانيين ، بمعنى انهم لا يدفعون ضريبة الا بعد أن يكون قد مضى على دخول السلع الى حوزتهم في عمان سنة كاملة .

وبالنسبة لهذه القوانين فثمة نقطتان سنشرحهما هنا .

من الواضح انه كانت هناك ثلاثة مناطق تتاجر مع عمان أو عن طريقها ، وكل واحدة منها أدت الى سن مجموعة من قوانين خاصة بها .

الأولى : تشمل البلدان غير الاسلامية التى لم تدخل في معاهدات صلح مع دار الاسلام فبالنسبة لهذه المجموعة من الاقطار فان العمليات التجارية تتم على أسس متبادلة عن طريق عقد اتفاقيات خاصة تتجدد من الناحية النظرية سنويا . ودار الاسلام أو عاصمة الاسلام هى نفسها تنقسم الى جزئين ، المناطق التى يسود فيها التشريع الاباضى وتلك التى لا يسود فيها مثل هذا التشريع ، وبالنسبة للمرحلة التى يتناولها

هذا البحث فان هذه المناطق تشمل جنوب شرقى شبه الجزيرة العربية ، وهذه الاعتبارات تفسر تطبيق دفع الزكاة على سكان عدن والشحر ، ولهذا السبب فان الضرائب التى كانت تستوفى من السكان لم تكن تعتبر زكاة حقيقية ولهذا السبب لم يكن العمانيون القادمون من تلك المناطق يعفون من أداء الزكاة عند عودتهم .

وفضلا عن ذلك فانه واضح من قوانين الضرائب المشار اليها سلفا انه كان هناك شكل من التفاهم حول تلك المسائل التى تمثل ازدواجية في الضرائب والسلع المرورية بين العمانيين وغيرها من الحكومات التى تتحكم في موانى الخليج .

النقطة الثانية ، هو توجيه النظر الى الحقيقة الثابتة وهو أن صحار كانت تعتبر الميناء الدولى لعمان وان هذا لا يعنى انه لم تكن هناك موانىء أخرى ثانوية وانما كان يتعين على الحركة التجارية الرئيسية في المحيط الهندى أن تمر عن طريق صحار . اما اذا كانت تلك سياسة مقصوده أو انها كانت مجرد عملية تنظيمية فقط فان الأمر لا يهم كثيرا . فلقد كانت صحار ميناء دوليا هاما خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى / ولم يكن له ميناء منافس آخر في كل عمان .

معلومات عن موقع الحضارة التجارية في صحار :

المسألة التى تبرز الآن هى لماذا أخفقت المحاولات التى بذلت حتى الآن لاكتشاف موقع صحار القديمة . هناك أسباب عديدة بهذا . فعلى سبيل المثال كان الموقع القديم لصحار محدود المساحة نسبيا بالمقارنة الى التوسع الذى شهده القرن العاشر والبقايا الخزفية تشمل في الحقيقة مظاهر النمو لعهد الامامه الأولى (هذا الآثار الخزفية على ما يبدو ولا تحمل تاريخا دقيقا بأى حال من الأحوال) فاذا كان هذا صحيحا فانه يكون أكثر غرابة لأن الاعمال الحفرية لم تكشف عن شىء في حين أن سيراف التى لا يعرف الكثير عن تاريخها المبكر قد كشفت أعمال الحفر فيها عن آثار هامة ترجع الى العهود الساسانية (هوايت هاوس ووليمسون ١٩٧٣) والمراجع الآنفة الذكر) .

وردى على هذا السؤال هو أن العمليات التى تمت كانت تتم في المكان الخطأ وهناك عدة اعتبارات لهذا الاستنتاج هي :

١) تقع صحار في شريط أرضى متواصل من المناطق الزراعية على ساحل مفتوح . فالموقع الذى تقع عليه صحار الحاليه يفتقد عناصر التجانس سواء من حيث نوارد المياه أو الزراعة أو التسهيلات الميناثية .

٢) جرت العادة في التاريخ الاسلامي أن يقوم اى نظام أو حكم جديد بانشاء مناطق عمرانية منفصلة عن المناطق القديمة . وبالنظر الى مظاهر التطور الهامة لميناء صحار والمنطقة الداخلية الزراعية التابعة لها خلال القرن العاشر فانه من المحتمل أن تكون المراكز الرئيسية للمدينة قد نقلت الى مكان آخر .

٣) ان الجزء الاكبر من المستوطنات القائمة على ساحل الباطنه مبنيه من سعف النخيل وبالتالى فان المنطقة الوحيدة التى تضم مبان ثابتة خلال المرحلة المبكره ربما تكون محصوره داخل المنطقة المحصنه « لدستجرد » وجزء من منطقة السوق ، وأما اذا كان الحصن الذى نعرف انه كان موجودا هناك في المرحلة الاسلامية الأولى هو نفس الحصن الذى أنشأه الساسانيون أو أنه حصن آخر فان هذا الأمر لم يتضح (ومن المحتمل بطبيعة الحال أن مجمع الحصن القديم يقوم تحت الحصن الحالى وبالتالى فليس من المستغرب انه لم يكتشف) .

٤) لقد تعرضت صحار للدمار أكثر من مره خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (التحفة ط ١ ص ١٦٣ ــ ١٦٤) فقد أتت النيران على كل المنطقة الواقعة بين الخورين على الاقل في احدى المرات ، ثم

للتجليد والطباعة
٦ شارع البراموني ـ عابدين ـ القاهرة ت : ٩١٤٨٨١٩